# إمارة آل مغامس العربية في البصرة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر

طارق نافع الحمداني*

* حصل على الدكتوراه من جامعة مانشستر بانجلترا عام ١٩٨٠ م .
يعمل أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث بجامعة بغداد .

## الملخص

لعل أبرز الأحداث التي شهدتها المدن العراقية ، ومن بينها مدينة البصرة ، قيام عدد من الإمارات العربية ، التي وقفت على قدميها لمدة طويلة ، وقاومت عمليات الغزو الأجنبي . وكان من بين تلك الإمارات إمارة آل مغامس العربية في البصرة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر .

ومع أننا نجهل تاريخ قيام هذه الإمارة ، إلا أنه من الواضح أنها أصبحت معروفة منذ القرن الخامس عشر ، ونالت استقلالها في أوائل القرن التالي ، وكان عليها أن تواجه الأخطار الخارجية التي أطاحت بها ، سواء من جانب البرتغاليين أو من جانب العثمانيين .

فبالنسبة للبرتغاليين لم يكونوا راغبين في قيام أية إمارة عربية قوية في المنطقة ، وعملوا على إضعافها بشتى الطرق والوسائل : اقتصادياً وسياسياً . يدل على ذلك أن البرتغاليين حالما شعروا بأن آل مغامس كانوا يعدّون العدة لإنشاء أسطول لهم في الخليج العربي ، أظهروا العداء لهم ، وأعلنوا الحرب عليهم . ولكن عندما وصلت القوة العثمانية إلى الخليج العربي في منتصف القرن السادس عشر ، أحسّ البرتغاليون بخطرهم ، ولهذا لبّوا نداء المساعدة لآل مغامس ، ولكن بعد فوات الأوان .

ذلك، لأن العثمانيين كان مثلهم مثل البرتغاليين ، لا يرغبون في قيام أية قوة محلية قوية في المنطقة ، وكان هذا الأمر جزءاً من سياستهم الرامية إلى توسيع النفوذ العثماني ، وتحقيقه على مراحل . ولهذا فإنهم لم يكتفوا بالطاعة والولاء الذي أظهره آل مغامس للعثمانيين ، بل سارعوا إلى استغلال الخلافات التي حدثت بين أمراء هذه الإمارة ، ومن ثم احتلالها عام ١٥٤٦/٩٥٣ .

وهكذا يتوضح لنا كيف عاشت هذه الإمارة وسط ظروف صعبة ، ذلك لأن الخطر البرتغالي كان يتهددها في الخليج ، والخطر العثماني في الشمال . وقد أودت هذه المخاطر بحياة هذه الإمارة في منتصف القرن السادس عشر .

### ١) آل مغامس وأصولهم الأولى

ظهرت في البصرة بين الغزو المغولي لبغداد عام ١٢٥٨/٦٥٦ والتوسع العثماني للبصرة عام ١٥٤٦/٩٥٣ إمارات عربية عديدة . وقد قدّر لهذه الإمارات أن تبعد شبح السيطرة الأجنبية عن البصرة في كثير من الأحيان ، مستفيدة في ذلك من ضعف الدول الحاكمة في الفترات المشار إليها أعلاه . وكان من أهم هذه الإمارات إمارة المنتفق ، وإمارة المشعشعين ، وإمارة آل مغامس ، التي هي موضوع بحثنا . ولكن كيف نشأت هذه الإمارة، وماهي أصولها الأولى ، وكيف حكمت وزال نفوذها من البصرة .

إن تاريخ هذه الإمارة في البصرة قديم نسبياً ، وربما يعود إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . غير أن الوثائق الإنكليزية في دائرة الهند تشير إلى أن ورود أفراد هذه الأسرة قد تم في مطلع القرن السادس عشر . (India Office RecordsL/P and S /10/617/ p. 1652 "Note on the Muntafik" pp. 2-3.) .

بينما تشير مصادر ثانية إلى أن ذلك حدث في بداية القرن السابع عشر (Glubb,1978:36) ، وثالثة إلى أوائل القرن الثامن عشر، أو قبل ذلك بقليل (أفندي، ١٩٨١ : ٥١) . وهم ينتسبون إلى قبائل المنتفق (المنتفك) الشهيرة في العراق (فائق ، ١٩٦١ : ١٢) .

ولعل من أقدم النصوص التي عرفناها عن تاريخ هذه الإمارة وأصولها ، هي ما جاء في كتاب «معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر» لمؤلفه نعمان بن محمد بن العراق ، الذي عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الذي قال:

« إن أول من وليها (أي البصرة) قديما من آل فضل، الشهير ين ببيت المنتفق، جدهم الأكبر مانع بن شبيب بن فضل في دولة بني أيوب» (ابن العراق، ١٩٧٣ : ٣٤)، (النبهاني، ١٣٤٢ هـ: ٤٦ - ٥٥) .

وينطبق هذا القول مع ما أشرنا إليه آنفا ، بمجيء أفراد هذه الأسرة إلى البصرة في وقت مبكر جداً ، رغم أنهم أبعدوا عنها لمرات عديدة . وتؤكد الروايات المحفوظة أيضا ، بوصول مجموعات من آل المنتفق إلى الأقسام الجنوبية من العراق ، وربما البصرة أيضا ، في الفترة العباسية المتأخرة ، ومنح زعامتهم لبنى شبيب[1] .

وتجمع الكثير من الروايات المعاصرة على أن أولاد مانع وأحفاده قد حكموا البصرة ، واستقلوا بها منذ بداية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . وقد كان من بينهم مانع ، أمير العرب (الذي هو من أحفاد مانع الأول) . وكانت بيده إمرة قبائل المنتفق الشيبيين في البصرة عام ١٤١٧/٨٢٠ (العسقلاني، ١٩٦٩ : ١٤٦) . إلا أن أفول السلطة الجلائرية في بغداد ، في مطلع القرن المذكور ،

جعل الحكام الجلائريين يتوجهون نحو واسط والأحواز والبصرة . وهناك دخلوا في صراع عنيف وطويل مع مانع ، أمير العرب (العسقلاني، ١٩٦٩ : ٥ـ ٢٠٦)، (العاني، ١٩٧٦ : ٤٧). ويظهر أن الجلائريين قد نجحوا في انتزاع البصرة من مانع ، وذلك لأننا لم نعد نقف على شيء من أحوال هذه الإمارة ولا عن أخبارها .

لم يسترجع أمراء البصرة نفوذهم فيها لفترة طويلة من الزمن ، وذلك لوقوعهم بين قوى عديدة متكالبة . فأمراء القره قوينلو (إحدى القبائل التركمانية التي حكمت العراق في القرن الخامس عشر الميلادي)، ومن بعدهم الآق قوينلو كانوا يحاولون مدّ نفوذهم إلى جميع أنحاء العراق الجنوبية، ومن بينها البصرة، خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (Zeno,1873:8) .

وحدث في الوقت نفسه أن قامت إمارة المشعشعين العربية[٢] في واسط والأحواز ، التي كانت منافساً قوياً لكل من القره قوينلو ، والعراق الجنوبية، بسبب نشاطات المشعشعين الحربية . ففي العقد الخامس من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وبالذات عام ٨٤٨/١٤٤٤ استطاع المشعشعون بقيادة محمد بن الفلاح التغلب على أمير البصرة المعروف بـ (يحيى بن محمد) [٣]، من أمراء قبيلة المنتفق الشيبيين (Barbosa,1918:89) ، وإخضاع المدينة لسيطرتهم . وكما يقول ابن العراق ، فقد حكموا البصرة ، «أربعة وثمانين سنة» . (ابن العراق، ١٩٧٣ : ٣٧) .

ويعني هذا أن حكم المشعشعين في البصرة قد أمتد حتى عام ٩٣١/١٥٢٤ ، بينما المعروف أن نفوذ المشعشعين في هذه المدينة قد انتهى قبل هذا التاريخ ، إذ أن انتهاء سلطة المشعشعين في البصرة تعني عملياً قيام حكومة آل مغامس في البصرة، «حيث أخذها محمد بن مغامس قهراً» (ابن العراق، ١٩٧٣ : ٧٣). كما أن الفترة الممتدة ما بين ٩١٤/١٥٠٨ إلى ٩٣١/١٥٢٤ تمثل ـ في الغالب ـ حكم محمد بن مغامس .

## ٢ ـ حكومة آل مغامس ومناطق نفوذها في أوائل القرن السادس عشر

لا نعرف إلّا النزر اليسير عن شخصية مغامس ، الذي جاءت منه تسمية «إمارة آل مغامس العربية» ، التي حكمت البصرة إبّان النصف الأول من القرن السادس عشر . ولكن يبدو لنا أن مغامساً هذا ، كان أبا لكل من محمد وراشد ، اللذين أعطيا لهذه الأسرة شهرتها وقوتها . فالأول هو الذي انتزع البصرة بالقوة من المشعشعين ، في حدود العقد الثاني من القرن السادس عشر ، ووليها ـ على ما ذكره ابن العراق ـ مدة طويلة (ابن العراق، ١٩٧٣ : ٧٣). أما الثاني فقد ابتدأ حكمه عام ٩٣١ / ١٥٢٤[٤]، وامتاز بقيام كثير من الحوادث المهمة فيه .

كان من أولى هذه الحوادث امتداد نفوذ آل مغامس إلى الأحساء والقطيف ، وذلك بعد ما أصاب هذه المنطقة من التفكك ، واضطراب الأحوال الداخلية فيها . فقد تعرضت المناطق الشرقية من الجزيرة العربية لضغط البرتغاليين وهجماتهم المتكررة ، مما تسبب في ضعف سياد آل الأجود ،

حكام الأحساء ونواحيها ، بعد استشهاد أميرهم مقرن بن زامل العقيلي الجبري عام ٩٢٧/ ١٥٢٠ ، وهو يدافع عن بلاده ضد البرتغاليين (الاحسائي ، ١٩٦٠ : ١٢١) ، (Crichton, 1852:482) . وأعقب استشهاده وقوع نزاعات حادة بين أفراد هذه الأسرة ، فاستعانوا بأمير البصرة راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ، لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف . فلما رأى راشد ما هم فيه من خلاف وضعف ، قدم إلى الاحساء والقطيف فاستولى عليهما وأقام بهما ، وولّى على البصرة أخاه محمدا . (٥) .

وهناك حادثة أخرى مهمة في تاريخ آل مغامس ألا وهي اتخاذهم موقعا جديدا للبصرة يغاير الموقع السابق ، وهذا هو الموضع الذي تحتله البصرة القديمة الحالية . ويقع على نهايات نهر العشار في موقع يتوسط مدينة البصرة الإسلامية وشط العرب . ويقول ابن العراق المعاصر للأحداث عن ذلك الآتي :

«إن (آل مغامس) لما كانوا ساكنين بالبصرة القديمة ، كان يبعد عنهم الماء الحلو ، ولا يجدون ما يشربونه إلاّ بعد مدة . وذلك الماء واطىء عنهم ، فلا يصلون إليه حتى يفيض البحر . . فتعبوا لذلك تعباً شديداً . فانتقلوا إلى أعلى الماء ، فسكنوا هناك واستمصروا مصرا في ذلك المحل ، وهي محاذية للبصرة القديمة» (ابن العراق ، ١٩٧٣ : ٧٢) .

وهكذا يلقى ابن العراق الضوء على بعض التطورات التي مرت بها مدينة البصرة ، ولكنه لا يعطينا تاريخاً محدداً لها ، وإنما اكتفى بالقول «وهي التي عمرها الأمراء قريبا» . إلاّ أنه يمكن الاستدلال ، مما أورده الرحّالة المعاصرون ، بأن هذه الأحداث ، قد تمت في حدود العقد الثاني من القرن السادس عشر . إذ أن باربوسا Barbosa الذي زار منطقة الخليج العربي عام ٩٢٤/ ١٥١٨ قد أشار إلى اتخاذ البصرة لموقعها الحديث ، وقد تابعه المؤرخون الآخرون في ذلك ( Sousa,1695 : 397 ), ( barbosa, 1866 : 89 )

### ٣) علاقة آل مغامس بالبرتغاليين والعثمانيين

#### أ) آل مغامس والبرتغاليون

لم تكن لآل مغامس علاقات ودية مع البرتغاليين ، الذين وصلوا إلى الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر . ويعود سبب ذلك إلى أن البرتغاليين أظهروا روحاً عدائية لجميع القوى المحلية الموجودة في المنطقة ، وحاولوا تعطيل دورها في ممارسة نقل التجارة العالمية عبر الخليج العربي . ولقد نفذوا هذا الأمر باستخدامهم مختلف الوسائل والأساليب ، فأحياناً استخدموا القوة والعنف ، وأحيانا أخرى لجأوا إلى الوسائل الدبلوماسية . وتكشف لنا بعض الوثائق البرتغالية التي نشرت حديثا ، على أن البرتغاليين عندما لم تتح لهم فرصة السيطرة على البصرة ، كما هو الشأن بالنسبة للمراكز والموانىء الأخرى في الخليج العربي ، فقد غيروا سياستهم تجاهها ، ولم يستخدموا سياسة القوة ، وإنما لجأوا إلى أسلوب المخاتلة واغتنام الفرص .

يدل على ذلك محاولة البرتغاليين افساح المجال أمام البصرة لأن تكون مركزاً مفتوحاً لتوزيع منتجات الشرق الأدنى . ففي رسالة للقائد البرتغالي المعروف البوكيرك Alboquerque مؤرخة في الثاني والعشرين من أيلول عام ١٥١٤ أخبر الملك فيها ما يأتي :

«إنه يعلم جيدا أن العالم العربي والتركي والفارسي يتزود بالتوابل من البصرة ، وأنه لا يرى في ذلك أي خطر على مصالح البرتغال ، ما دامت تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثماني ، وما دامت الكميات المحصل عليها لا تسمح قط بمنافسة البرتغال بأوروبا». (بوشرب ، ١٩٨٣ : ٧٨) .

وبغض النظر عن الأثر الذي تتركه هذه السياسة في تطور الأهمية التجارية لميناء البصرة على رأس الخليج العربي ، فإنه من الناحية الأخرى ، يمثل تطوراً جديداً في السياسة البرتغالية ، أراد البرتغاليون من ورائه التقرب من آل مغامس ، بحيث أنهم ـ أي البرتغاليين ـ كانوا يدّعون في مناسبات عديدة ، بأنهم على علاقات طيبة مع أمراء آل مغامس (بوشرب ، ١٩٨٣ : ٥٤)، (بوشرب، ١٩٨٤ : ١٣٤) .

ورغم ذلك كله ، فإن سياق الحوادث التاريخية يظهر عكس هذا الأمر تماماً . إذ كان البرتغاليون يراقبون حكام هذه الإمارة ، ويعملون على عرقلة جميع جهودهم الرامية إلى تقوية إمارتهم . وأنهم كانوا ينظرون إلى البصرة نظرة ملؤها الحقد والحسد ، ووضعوا هذه المدينة ضمن مشروعاتهم التوسعية ، واستغلوا في ذلك كل فرصة سانحة .

كانت النزعات بين القوى المحلية الحاكمة في جنوب العراق ، تعطي فرصا واسعة ، للأسطول البرتغالي الموجود في الخليج العربي ، للتدخل في شئون هذه القوى . فقد شب نزاع بين راشد بن مغامس وأمير الجزائر ، فطلب راشد المساعدة من البرتغاليين في هرمز . وفعلا أرسلت قطع بحرية برتغالية إلى البصرة بقيادة بلشواردي سوسا تافاريز Bel chior de Sousa Tavares لمساعدة راشد بن مغامس ، فاستطاعت أن تنهي الخصومات بين البصرة والجزائر ، إلّا أن أمير البصرة ، كما تشير بعض المصادر (اوزبران، ١٩٧٩ : ٢٤)، (لوريمر، بدون تاريخ : ١٦) لم يف بتنفيذ الوعود التي قطعها للبرتغاليين ، لذلك قاموا بإحراق مدينتين تابعتين للبصرة في طريق عودتهم إلى هرمز .

هذه هي الأسباب الظاهرية للنزاع بين راشد والبرتغاليين ، وأغلب الظن أن السبب الرئيسي في نموّ روح العداء والكراهية بين الطرفين ، على هذا النحو السريع ، يرجع إلى أسباب أخرى ، غير ما درجت المصادر المتداولة على ذكره . وهذه الأسباب يمكن أن نجدها مرة أخرى في الوثائق البرتغالية المنشورة حديثا . ففي رسالة من قائد الأسطول البرتغالي كرستافو دي مندوصا Cristovao de Mendoca ، مؤرخة في السابع من تشرين الثاني عام ١٥٢٨ ، بعث بها إلى الملك البرتغالي جوا الثالث ، يلقي صاحب الرسالة الضوء على «محاولات والي البصرة إنشاء أسطول خاص به ، وخطر ذلك على هرمز . . وألح على ضرورة الحيلولة دون تقوية نفوذ الوالي المذكور ، وخروج البصرة من فلك هرمز ، نظرا للأهمية الاقتصادية التي تكتسبها بالنسبة لها» (بوشرب، ١٩٨٣ : ٥٤) .

وفي تقرير آخر بعث به قائد الأسطول في هرمز إلى الملك البرتغالي جوا الثالث ، في الثالث عشر من أيلول عام ١٥٢٩ ، يتعلق بالأوضاع داخل الخليج العربي ، أخبر صاحب التقرير الملك «بإعلانه الحرب على البصريين ، لرفض حكّامهم إعادة المراكب التابعة لهرمز ، التي استولوا عليها» (بوشرب ، ١٩٨٣ : ٥ ـ ٥٦) . ويشير تقرير برتغالي ثالث بعثه قائد الأسطول المذكور بقوله :

«أما عن البصرة ، فإني لحد الساعة في حرب معها ، لرفض سكانها تسليمي المراكب التي يتوافرون عليها ، ولو كان الولاة السابقون لهذا الحصن فعلوا مثلما أفعله ، لألزمهم ذلك بتسليمها منذ مدة ، ولكننا الآن في حالة سلم . ولن أسالمهم أبدا طالما بقيت هذه البلاد . وذلك إلى أن يسلموني المراكب التي تضر كثيراً بمصالح جلالتكم» (بوشرب ، ١٩٨٤ : ١٣٠) .

وهكذا تكشف لنا هذه الوثائق البرتغالية ، سبب الخلاف الحقيقي بين راشد بن مغامس والبرتغاليين ، إذ لم يكن أساسه ، كما جرت المصادر المعروفة على ذكره[٦] ، وصول أسطول عثماني إلى الخليج العربي ، ودخوله ميناء البصرة ، بل اختلاف الأهداف والمشارب اختلافا جوهريا بين أمير البصرة وقائد الأسطول البرتغالي . فأمير البصرة كان مهتما بتقوية مركزه ، والمحافظة على مصالح ولايته ، أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر ، سواء عن طريق إنشاء أسطول خاص به ، أو وقف التعديات والتهديدات البرتغالية على البصرة ، بينما كان البرتغاليون ، الذين اتبعوا أساليب ووسائل مختلفة ، مدفوعين وراء تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية جديدة في المنطقة ، وهذا ما كان يتضارب مع أهداف حاكم البصرة وتطلعاته .

لم تتجدد الاتصالات بين آل مغامس والبرتغاليين حتى عام ٩٥٣/١٥٤٦ ، عندما امتد النفوذ العثماني بصورة فعلية إلى البصرة ، بعد أن طرد العثمانيون أميرها من آل مغامس . فأفزعت هذه الحادثة البرتغاليين ، وحثتهم على اغتنام الفرصة ، لمحاولات التقرب التي صدرت من قبل أمراء البصرة ، الذين لجأوا إلى الأحساء ، وبخاصة الأمير يحيى بن فضل . إذ توجد هناك بعض الإشارات[٧] ، التي تذكر قيام هذه الأمير بطلب مساعدة البرتغاليين له ، للوقوف بوجه العثمانيين . وسواء حدثت مثل هذه المراسلات أم لا ، فإن البرتغاليين كانوا يريدون اغتنام الفرصة ، للقضاء على النفوذ العثماني ، الذي برز في شمال الخليج العربي ، وأصبح يهدد كيانهم هناك . ولذلك قام البرتغاليون بإرسال حملة كبيرة إلى الخليج عام ٩٥٧/ ١٥٥٠ ـ ١٥٥١ ، فهاجمت قلعة القطيف ، وضربتها بالمدافع ، ثم هاجمت البصرة . ولكنها لم تنجح كما نجحت في القطيف . ويعلل دنفرز Danvers سبب ذلك ، إلى تخوف القائد البرتغالي دي نورنها Noronha ، من إمكانية مواجهة مقاومة كبيرة ، من قبل القوى المحلية الموجودة في البصرة ، ومساندة العثمانيين ، ولهذا لم يطل مكثه بها ، ولم يقم بأيّة عملية ، وبهذا فإن البرتغاليين لم يقدموا أي معونة حقيقية لآل مغامس (Danvers,1894: 3 -492) .

**ب ) آل مغامس والعثمانيون**

بدأت أولى الاتصالات بين آل مغامس والعثمانيين بعد احتلال السلطان سليمان القانوني لبغداد

عام ٩٤١/١٥٣٤ . ففي خلال فترة بقاء هذا السلطان في بغداد التي امتدت من كانون الأول ١٥٣٤ إلى نيسان ١٥٣٥ ، قدم إليه عدد من المبعوثين من واسط والجزائر والأحواز والقطيف والبحرين ، حيث أظهروا طاعتهم وولاءهم له (البدليسي ، ١٩٦٢ : ١٦٣) . وفي الوقت نفسه أرسل راشد بن مغامس ولده مانعاً[٨] إلى السلطان ، مع تأكيدات مماثلة لولائه . ومهما يكن الأمر ، فإن طاعة هؤلاء لم تكن طاعة حقيقية ، بل إنها كانت مجرد طاعة صورية ، ولا يمكن الاعتماد عليها بأي حال من الأحوال .

ويجب أن نتذكر أنه لم تمض سوى سنوات قليلة ، حتى أشارت المصادر التاريخية ، إلى قيام راشد بن مغامس بإرسال ولده مانع ، مع الوزير محمد وقاضي العسكر ، إلى السلطان سليمان ، الذي كان عندها في أدرنه ، لتأكيد ولائه وطاعته له ، فتم تعيينه أميراً على البصرة (بجوي ، ١٩٦٨ : ١١٣) . وقد كان من المتوقع أن يطيع راشد أوامر الولاة في بغداد ، غير أننا لم نعد نسمع عن راشد هذا ، ولا عن حكمه بعد هذه الفترة . ويظهر أنه قد توفي ، وأعقبه ابنه مانع على الحكم (ابن العراق ، ١٩٧٣ : ٧٣) .

وعلى أية حال ، فإنه من الضروري عند هذه النقطة بالذات ـ ولتجنب الوقوع في الارتباك والخطأ ـ الإشارة بوضوح إلى الأوضاع العامة في البصرة ، لما أصابها من تطورات مهمة ، على الصعيدين الداخلي والخارجي . فعلى الصعيد الداخلي ، استمر مانع ثابتا على ولائه للعثمانيين ، غير أن أعيان البصرة ، ووجوه البلد فيها ، أجبروه على التنازل عن ولايته ، فبويع ابنه عثمان ، الذي لم يبلغ سن الرشد ، إلا أن هذا سرعان ما اضطر إلى أن يتخلى عن منصبه إلى ابن عمه الأمير يحيى بن فضل ، وذلك في حدود عام ٩٥٢/١٥٤٥[٩] .

ومن التطورات الأساسية في سياسة آل مغامس ، أن الأمير يحيى لم يلتزم بما التزم به أسلافه ، من تقديم الطاعة الظاهرية للعثمانيين ومداراتهم ، بل إنه فضّل ـ على ما يبدو ـ معارضتهم . واتخذ عددا من الاجراءات الضرورية لتحقيق ذلك (الحمداني ، ١٩٨٣ : ٨ ـ ٢٠٩) . فقد دخل في حلف مع الأمراء العرب المشعشعين ، الذين تسلموا في ذلك الوقت إدارة مدينة الزكية من السلطان سليمان . وكانت هذه المدينة ذات أهمية استراتيجية غير قليلة ، لوقوعها على نهر دجلة ، إلى الشمال من القرنة . وفي عام ٩٥٢/١٥٤٥ قام الأمير يحيى بمساعدة المشعشعين ضد حريم بك Harrem Bey ، الذي كان قد أرسله السلطان سليمان ، من أجل أن يبني قلعة ، يمكن بواسطتها السيطرة على الحصون الواقعة بالقرب من منطقة الزكية . وعندئذ طلب الأمير المشعشعي السيد عامر المساعدة من الأمير يحيى ، فقام الأخير بإرسال وزيره مع مائة قارب ، ولكن حريم بك ، الذي كان قد تسلم تعزيزات عثمانية جديدة ، تمكن من دحرهم ، وأصبحت الزكية تحت السيطرة العثمانية المباشرة (Stripling, 1942:83) .

لقد وضعت هذه السياسة ، الأمير يحيى في حالة خلاف ، مع أعيان البصرة من جهة ، ومع العثمانيين من جهة أخرى . فلقد أراد هؤلاء الأعيان من الأمير يحيى أن يقيم علاقات جيدة مع العثمانيين ، وأن يحافظ على وضعه المستقل . بيد أن السياسة المبدئية ليحيى كانت تقوم على معارضة

العثمانيين . وفي رواية لعبد السلام بن الشيخ عبد القادر الكوازي العباسي «انه بسبب هذه الخلافات بين يحيى وأعيان البصرة ، فقد ترك قسم منهم المدينة بالسفن ، منسحبين إلى جزيرة صغيرة تدعى فيلكه ، ليس بعيداً عن الكويت ، ولكنهم عادوا إلى البصرة فيما بعد»[١٠] .

وعلى الصعيد الخارجي فقد وقع الأمير يحيى في خلاف آخر مع العثمانيين ، عندما رفض عام ١٥٤٥/٩٥٢ إرجاع بعض اللاجئين إلى بغداد ، والذين كانوا قد هربوا إلى البصرة. وقد شكّل امتناع يحيى الرضوخ لذلك، ذريعة للعثمانيين ، الذين أرسلوا حملة حربية من بغداد عام ١٥٤٦/٩٥٣ ، بقيادة إياس باشا ، الذي تمكن من احتلال البصرة، وطرد آل مغامس منها (اوزبران، ١٩٧٩ : ١ - ٣٢) .

إن طبيعة التوسع العثماني نحو البصرة ، والرغبة في القضاء على الإمارة العربية الحاكمة هناك ، ينطبق مع دوافع التوسع التي درج العثمانيون عليها . وقد أعطى المؤرخ التركي اينالجيك Inalcik أفضل تحليل لتلك الدوافع عندما قال :
«إن عملية التوسع العثماني كانت تقع بمرحلتين متميزتين ، الأولى أنها تهدف إلى إقامة نوع من أنواع السيادة على الحكومات المجاورة ، والثانية أنها تحاول فرض سيطرة مباشرة على تلك الأقطار ، عن طريق التخلص من أسرها المحلية» (Inalcik, 1959:103) .

ولهذا فإن محاولة العثمانيين الحاق البصرة جدياً بالدولة العثمانية ، وسيطرتها المباشرة ، كان يقع ضمن إطار هذه السياسة وليس خارجها .

وبهذه الصورة انحلت إمارة آل مغامس العربية في البصرة ، بعد أن استطاعت أن تقيم لنفسها إمارة في البصرة والأحساء ، وأن تقف بوجه المطامع البرتغالية الاستعمارية في المدينة . أما بقية أفراد هذه الأسرة فقد انسحبوا إلى الاحساء (العباسي ، المخطوطة، ورقة ٣ - ٤) . التي كانت ما تزال تخضع لنفوذهم . وظلوا هناك حتى امتداد النفوذ العثماني إلى هذه المنطقة أيضا ، في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

وأخيراً لا بد من القول بأن القارىء قد لا يجد أية إشارات إلى أسلوب الإدارة في هذه الإمارة ، ولا عن ماليتها وجيشها ، ولعل عذرنا في ذلك عدم توفر أية معلومات عن هذه الأمور ، وقد يكشف الزمن عن بعض الوثائق والمخطوطات الجديدة ، فيصير عندئذ أمر كتابتها ممكنا .

## الهوامش

١) أنظر : India Office Records, L/p and s/10/617 p. 1652, A note on the Muntafic, pp. 2-3

٢) لقد قامت هذه الإمارة على أسس دينية ، ولكنها تحوّلت في الواقع إلى حركة سياسية وعسكرية . وكان مؤسسها

الحقيقي هو محمد بن فلاح . للتفاصيل أنظر : عبد الله بن فتح الله الغياثي ، التاريخ الغياثي من سنة ٦٥٦ ـ ٨٩١ / ١٢٥٨ ـ ١٤٨٦ ، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني ، بغداد، ١٩٧٥ ، ص ص ٣ ـ ٢٧٦ . وانظر أيضا محمد هليّل الجابري ، إمارة المشعشعين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ص ١١ ـ ١٢ . كذلك مصطفى جواد ، «المشعشعين ومهديهم» لغة العرب ، الجزء التاسع من السنة التاسعة ، ايلول ، ١٩٣١ ، ٢ ـ ٦٤٣ .

٣) يشير الغياثي في كتابة : التاريخ الغياثي ، ص ٢٧٦ باسم غانم بن يحيى ، ولقد أثبتنا يحيى في المتن اعتمادا على ابن العراق في كتابه معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، ص ٣٧ ، الذي تتبع أفراد هذه الإمارة بصورة يمكن الركون إليها .

٤) لقد أثبتنا بداية ولاية راشد استناداً إلى مؤرخ معاصر هو عبد القادر الجزيري في كتابة «درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، (رقم ٩٢٦ ، تاريخ ، تيمور) ، نقلا عن محمد بن عبد الله الاحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الحسا في القديم والجديد ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ١٢١ .

٥) انظر كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الحسا في القديم والجديد للاحسائي ، ج ١ ، ص ١٢١ . وأيضا نوال حمزة يوسف الصير في ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ . ويبدو لنا أن رجوع راشد إلى البصرة كان في حدود الثلاثينيات من القرن السادس عشر ، وذلك بعد وفاة أخيه محمد .

٦) انظر لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، وانظر أيضا ستيفن هيملى لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٤٩ ص ٣٨ . حيث أكدا وجود بعض السفن العثمانية الراسية في ميناء البصرة آنذاك ، وهو أمر يدعو إلى الشك ، وذلك لأن التواجد العثماني لم يحدث إلا في فترة لاحقة .

٧) لقد أشار أوزبران ، نقلا عن بعض الوثائق البرتغالية ، إلى وجود مجموعة من الرسائل المتبادلة بين أمير البصرة والحاكم البرتغالي في الهند .
انظر : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ، ص ٤٠ .

٨) يتخبط المؤرخون كثيرا في ذكر الشخص الذي مثل آل مغامس عند السلطان سليمان . فقد سمّاه بعضهم راشداً . أنظر نظمي زاده مرتضى ، كلشن خلف ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ، النجف ، ١٩٧١ ، ص ٢٠١ ، بينما زعم ابن القملاس أنه مغامس (ولاة البصرة ومتسلموها ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤) . ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن اعتمادا على المصادر المعاصرة مثل ابن العراق .

٩) أنظر ابن العراق ، كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر . كذلك بوشرب ، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي ، ص ٥٢ ، حيث أشار إلى وقوع هذه الأحداث كما أوردتها الوثائق البرتغالية ، وهو ما اعتمدنا عليه في تثبيت تلك الأحداث .

١٠) أنظر عبد السلام بن الشيخ عبد القادر الكوازي العباسي ، تمائم الدرر في مناقب السادات الغرر ، ص ١٦٣ ، أوردها ياسين باشا اعيان ، بلوغ المرام في مناقب الشيخ عبد السلام ، الكوازيين العباسيين في البصرة ، مخطوطات المتحف العراقي برقم ١١٥٢٠ ، الورقات ٣ ـ ٤ .

## المراجع العربية

ابن العراق ، نعمان بن محمد — **كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر** ، تحقيق محمد حميد الله ، الباكستان : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ .

ابن القملاس **ولاة البصرة ومتسلموها** ، بغداد : دار البصري ، ١٩٦٢ .

الإحسائي ، محمد بن عبد الله **تحفة المستفيد بتاريخ الحسا في القديم والجديد** ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض : مطابع الرياض ، ١٩٦٠ .

افندي ، خورشيد **سياحة نامة حدود** ، ترجمة الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي ، البصرة : مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨١ .

أوزبران ، صالح **الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ م - ١٥٨١م** ، ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجي ، بغداد : مطبعة الإرشاد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٧٩ .

بجوى ، إبراهيم **بجوى تاريخي** ، ج ١ ، اسطنبول : مطبعة عامرة ، ١٩٦٨ .

البدليسي ، شرف خان **شرفنامة** ، ترجمة د. علي عوني ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ .

بوشرب ، أحمد «مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي» ، **المناهل** ، العدد ٢٦ ، السنة العاشرة ، مارس ١٩٨٣ .

- «مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر» البحرين : «**مجلة الوثيقة**» ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٨٤ .

الجابري ، محمد هليّل «إمارة المشعشعين» بغداد : رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٧٣ .

الجزيري ، عبد القادر «**درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**» مخطوط بدار الكتب المصرية ، (رقم ٩٢٦ ، تاريخ ، تيمور) .

جواد ، مصطفى «المشعشعين ومهدّيهم» **لغة العرب** ، الجزء التاسع من السنة التاسعة ، بغداد : مطبعة الآباء الكرمليين ، ١٩٣١ .

الحمداني ، طارق نافع «موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر» ، **مجلة دراسات الأجيال** ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، ١٩٨٣ .

الصير في ، نوال حمزة يوسف **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** ، الرياض : مطابع دار الهلال ، ١٩٨٣ .

العاني ، عبد الحميد «العراق في العهد الجلائري ، ٧٣٨ هـ ٨١٤ هـ / ١٣٣٧ م - ١٤١١» ، بغداد : رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٧٦ .

العباسي ، عبد السلام بن الشيخ عبد القادر الكوازي **تمائم الدرر في مناقب السادات الغرر** ، مخطوطات المتحف العراقي برقم ١١٥٢٠ ، الورقات ٣ ، ٤ .

العسقلاني ، ابن حجر **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٦٢ .

الغياثي ، عبد الله بن فتح الله **التاريخ الغياثي من سنة ٦٥٦ هـ ٨٩١ هـ / ١٢٥٨ م - ١٤٨٦ م** ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، بغداد : مطبعة أسعد ، ١٩٧٥ .

فائق ، سليمان **تاريخ المنتفق** ، ترجمة إلى العربية من التركية خلوصي الناصري ، بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٦١ .

لوريمر ، ج ، ح **دليل الخليج ، القسم التاريخي** ، قطر ، الدوحة : مطابع الدوحة ، بدون تاريخ .

لونكريك ، ستيفن هملي **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث** ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت : دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٤٩ .

مرتضى ، نظمي زاده **كلشن خلفا** ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ، النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٧١ .

النبهاني ، محمد بن خليفة **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية** ، القاهرة : المطبعة المحمودية ، ١٣٤٢ هـ .

# المراجع الأجنبية


India Office Records — L/P and S/10/617/ p.1652, "Note on the Muntafik".

Barbosa, Durate, — **A Description of the Coast of East Africa and Malabar in the beginning of the 16th Century,** translated from Spanish by H.E.J. Stanley, London, Hakl. Society, 1866.

A Chronick of the Carmelities in Persia and the Papal Mission of the XVIIth and XVIIIth Centuries London: 1233

Crichton, Andrew — **History of Arabia and its people** London and Edinburgh, 1852

Danvers, F.S. — **The Portuguese in India.** London: 1894

Glubb, John — The Arabian Adventures London, 1978.

Inalcik, H. — "Ottoman methods of Conquest", **Studia Islamica,** Vol. II (1954).

Savory, R.M. — "The Struggle for Supermacy in Persia after the Death of Timur, **"Der Islam,** No. 40/1 (1964).

Sousa, M.de Fariay — **The Portuguese in Asia,** translated into English by Capt. T. Stevens , London: 1695.

Stripling, G.W.F. — The Ottoman Turks and the Arabs 1511-1574 University of Illinois, Illinois, Urbana: 1942.

Zeno, Caterino — A Narrative of Italian travels in Persia in the 15th and 16th centuries London : Hakl Soc. 1873.